

مجمع الأمثال

4291 - أَنْدَمُ مِنَ الْكُسْعِيِّ .

قَالَ حمزة : هو رجل من كُسَعٍ واسمه مُحَارِب بن قَيْسٍ وَقَالَ غيره : هو من بني كُسَعٍ ثم من بني محارب واسمه غامد بن الحارث .

ومن حديثه أنه كان يَرْوَعِي إبلاً له بوادي مُعْشِب فبينما هو كذلك إذ أَبْصَرَ نَبْعَةً في صخرة فأعجبته فَقَالَ : ينبغي أن تكون هذه قوساً فجعل يتعدها ويرصدها حتى إذا أَدْرَكَتْ قطعها وجَفَّفَهَا فلما جفت اتخذ منها قوساً وأنشأ يقول :

يَا رَبِّ وَفَّقْنِي لِنَحْتِ قَوْسِي ... فَإِنَّهَا مِنْ لَذَّةِ تَرِي لِنَفْسِي .

وَأَنْفَعُ بِرَقَوْسِي وَلَدِي وَعِرْسِي ... أَنْحَتُهَا صَفْرَاءُ مِثْلَ الْوَرْسِ .
صفراء لَيْسَتْ كَقِسِي الذِّكْسِ .

ثم دهَنَهَا وخطمها بوتر ثم عمد إلى ما كان من بُرَايَتِهَا فجعل منها خمسة أسهُمٍ وجعل يقلبها في كفه ويقول :

هُنَّ وَرَبِّي أسهُمٌ حِسَانُ ... تِلْذِلُّ لِرَّامِي بِهَِا الْبَذَانُ .

كأنما قوامها ميزانُ فأبشروا بِالْخِصْبِ يَا صَبِيانَ .

إن لم يَعْقُنِ الشُّومُ وَالْحِرْمَانُ .

ثم خرج حتى أتى قُتْرَةَ عَلَى مَوَارِدِ حُمْرٍ فكمِنَ فِيهَا فرمى قطيع منها فرمى عَيْراً منها فأخطه السهمُ : أي أنقذه فيه وجازه وأصاب الجبل فأورى ناراً فظنَّ أنه أخطأه فأنشأ يقول :

أَعُوذُ بِالْعَزِيزِ الرَّحْمَنِ ... مِنْ نَكْدِ الْجَدِّ مَعَاً وَالْحِرْمَانِ .
مَالِي رَأَيْتُ السَّهْمَ بَيِّنَ الصَّوَّانِ ... يُورِي شَرَاراً مِثْلَ لَوْنِ
الْعَقِيَّانِ .

فَأَخْلَفَ الْيَوْمَ رَجَاءَ الصَّبِيَّانِ .

ثم مكث على حاله فمر قطيع آخر فرمى منها عَيْراً فأخطه السهم وصَدَعَ صَنِيعَ الْأَوَّلِ .
فأنشأ يقول : [ص 349] .

لَا بَارَكَ الرَّحْمَنُ فِي رَمِي الْقَتْرِ ... أَعُوذُ بِالْخَالِقِ مِنْ سُوءِ الْقَدَرِ .
أَأْمُخَطَ السَّهْمُ لِإِرْهَاقِ الْبَصَرِ ... أَمْ ذَاكَ مِنْ سُوءِ احْتِيَالٍ وَنَظَرِ .

ثم مكث على حاله فمر قطيع آخر فرمى منها عيراً فأخطه السهم فصنع صَنِيعَ الثَّانِي فأنشأ

يقول : .

مَا بَالُ سَهْمِي يُوْقِدُ الْخُبَاخِيَا ... قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَكُونْ صَائِبًا .

وأمكن العير وولَّى جنباً ... فَمَارَ رَأْيِي فِيهِ رَأْيًا خَائِبًا .

ثم مكث مكانه فمر به قطيع آخر فرمى عيراً منها فصنع صنيع الثالث فأنشأ يقول : .

يَا أَسَفِي لِلشُّؤْمِ وَالْجَدِّ الذِّكْدُ ... أَخْلَفَ مَا أَرْجُو لِأَهْلٍ وَوَلَدٍ .

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيراً منها فصنع صنيع الرابع فأنشأ يقول : .

أَبْعَدَ خَمْسٍ قَدْ حَفِظْتُ عَدَّهَا ... أَحْمِلُ قَوْسِي وَأَرِيدُ وَرْدَهَا .

أَخْزَى إِلَهُ لِيْنَهَا وَشَدَّهَا ... وَلَا تَسْلَمُ عِنْدِي بَعْدَهَا .

وَلَا أُرْجَى مَا حَيَّيْتُ رِفْدَهَا .

ثم عمد إلى قوسه فضرب بها حَجَرًا فكسرها ثم بات فلما أصبح نظر فإذا الْحُمْرُ مطروحة

حوله مُصْرَعَةً أسهمه بالدم مُصَرَّجَةً فندم على كَسْرِ الْقَوْسِ فشدَّ على إبهامه فقطعها

وأنشأ يقول : .

نَدِمْتُ نَدَامَةً لَوْ أَنَّ نَفْسِي ... تَطَاوَعُنِي إِذَا لَقَطَعْتُ خَمْسِي .

تَبَيَّنَ لِي سَفَاهُ الرَّأْيِ مِنِّْي ... لَعَمْرُؤُ أَبْيِكَ حِينَ كَسَرْتُ قَوْسِي .

وقَالَ الفرزدق حين أبان الذَّوَارَ زوجته وقصته مشهورة : .

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسْعِيِّ لَمَّا ... غَدَتُ مِنِّْي مُطْلَقَةً زَوَارُ .

وَكَانَتْ جَنَّتِي فَخَرَجْتُ مِنْهَا ... كَادِمَ حِينَ لَجَّ بِهِ الضَّرَارُ .

وَلَوْ ضَنَنْتُ بِهَا نَفْسِي وَكَفَى ... لَكَانَ عَلَيَّ لِلْقَدَرِ اخْتِيَارُ